* لمحـــــة تاريخيـــــة

مقدمـــــة:

تساءل الإنسان منذ أقدم العصور عن الطبيعة الإنسانية كما يلي:

ما الذي يجعلني أتصرف على هذا النحو؟ أو على تلك الصورة؟ ما معنى الأحلام؟ لماذا يختلف الأفراد فيما بينهم؟ فالمنجمون القدامى كانوا يستطلعون السماء بحثا عن إجابات، فموقع النجوم أثناء برهة الولادة يحدد طبع الوليد، كما كانوا يعتمدون على مظهر الفرد الخارجي للتنبؤ بطبعه وخصائصه السيكولوجية، مثلا من شابه ثعلبا كان ماكرا، في الوقت نفسه كان كبار المفكرين يتأملون في الطبيعة الإنسانية، فقد وصف "بنتام 1748– 1832" الكائنات الإنسانية كائنا ت عقلانية تضع قراراتها بتوجيه من المصالح الذاتية في حين ألح (غوستاف لوبون 1841– 1931 م) على لا عقلانية الجماهير واندفاعها، أما "توماس هوبز 1588– 1679" فرأى أن الإنسان كائنا أنانيا وعدوانيا يحتاج إلى حكومة قوية تضبط اندفاعاته، وجاء (جان جاك روسو 1712– 1778م) ورأى في قيود المدنية قوة هدامة لنبل الكائن الإنساني، لأن الإنسان خير بطبعه.

عموما فكل تصور من هذه التصورات ينطوي على جزء من الحقيقة.

يقول عالم علم النفس الألماني الشهير" هيرمان ابنغهاوس"(1850– 1909)[2] " إن لعلم النفس ماضيا بعيدا ولكن تاريخه قصير" أ ي علم النفس لم يستقر كعلم راسخ معترف به إلا قبل النصف الثاني من القرن 19م، حيث أن بعض المؤرخين يعتبرون عام 1860م وهو تاريخ صدور كتاب عناصر علم النفس الفيزيائي للعالم الألماني" ثيودور فيخنر" 1801–1887 بداية علم النفس الحديث في حين يعتمد معظمهم عام 1879م وهو تاريخ تأسيس أول مخبر في علم النفس في جامعة لايبزغ على يد الألماني"فهلم فونت" " W.WONDT"(1832– 1920) بداية هذا العلم غير أن تحديد تاريخ دقيق لبداية علم النفس يعتبر مسألة اصطلاحية ومصطنعة فموضوعات علم النفس لن تفهم دون العدة إلى أصولها العميقة أي" الفلسفية، البيولوجيا، الفيسيولوجيا... وغيرها من العلوم"[3]

1–الأصول الفلسفية اليونانية: يعود اهتمام الفكر الانساني بمسائل النفس والطبيعة البشرية, إلى العصور الفلسفية اليونانية, لقد اقتنعوا بأن في جسم الإنسان جانبا غير الذي تدركه الحواس وأن هذا الجانب غير المرئي مسؤول عن بعض الظواهر المحيرة [الشهوات، الدوافع، الأحلام، التردد في أخذ القرارات] وأطلقوا على هذا الجانب المسؤول عن الخبرة والسلوك اسم النفس أو الروح دون أن يحملوا هذه التسمية أي مضمون ديني، ويتم التعرف على طبيعة النفس بالوصف والملاحظة.

- وكان **أفلاطون PLATON** (427–347 ق م) قد وحد بين النفس والأفكار"عالم المثل" التي اعتبرها جوهر غير مادي مستقل عن الجسد وجد قبله ويبقى بعده وهو أقرب أجزاء الجسم إلى السماء مسكنه الدماغ.

• أما أرسطو **ARISTOT** (322- 384 ق م) تصور النفس وظيفة للجسد غير مستقلة عنه وجعل من الأفكار نتاج لتأثير المحيط في العضوية(الجسد).

• ولقد ورث الفكر العربي: التأمل الفلسفي عند اليونان فهناك بعض الأمثلة المشرقة لمحاولة فهم المشكلات السلوكية بطريقة علمية حيث ألف **الرازي** 864- 923 م كتاب "الطب الروحاني" شرح فيه تقسيم أفلاطون للنفس البشرية.

• أما **ابن سينا** 780- 1037 م فيرى بأن النفس جوهر روحاني قائم بذاته وهو أصل القيمة المدركة والمحركة لأجزاء البدن.

• كذلك **ابن رشد:**" الكليات" بالإضافة إلى مقال في "توهم المرض" لسعيد **ابن أبي بشر** ومقال في "فقدان الذاكرة" لأبي **جعفر الجزار** و"الرسالة الشافية في أدوية النسيان" **لإسحاق بن حريزي**، لنصل إلى القرون الوسطى:

• **العصور الوسطى**: في أوروبا لم تشهد تأمل علمي كبير في طبيعة النفس البشرية حيث كانت أشد العصور ظلاما وقسوة ضد المرض عقليا نظرا لسيطرة رجال الكنيسة الذين كانوا يحرقون المرض عقليا وكذلك العلماء كونهم بهم مسا من الشيطان...

• وكان لزاما انتظار القرن 17 م ليبدأ الفيلسوف الفرنسي **ديكارت** 1576- 1650 م انطلاقة دعمت البحث السيكولوجي، فالجسد آلة تتحرك وتتصرف وفق طرائق يمكن التنبؤ بها إذا عرفت مدخلاتها وما يمكن التنبؤ به خاضع للبحث العلمي، وبالتالي فإن العضوية الانسانية والحيوانية خاضعة للبحث العلمي فقدم "ديكارت" تفسيرات طبق من خلالها مبادئ الفيزياء على آليات الجسد , كما طبق **لاميتري** (1709-1751 م) التفسير الميكانيكي نفسه على السلوك البشري والشعور آلة تتوقف جسدا وعقلا على أحداث فيزيائية (مثل: مرض، عمى...).

• وقد كانت الفلسفة الخبرية الإنجليزية التي تعني أن كل المعرفة الإنسانية ناجمة عن الخبرة وليست عن الأفكار الفطرية ويمثل الفلسفة الخبرية **جون لوك** 1632- 1704م **دافيد هيوم** 1711- 1776م، **جيمس ميل** 1773- 1863م ومن صفاتها أنها سيكولوجية حواس، أي كل خبرة حسية في طابعها، وهكذا نجد أن علم النفس في بداية القرن 20 م كان تجزيئيا يؤمن بأن كل الحياة العقلية مبنية من ذرات الخبرة الحسية يضبطها مبدأ ترابط الأفكار: المدرسة الربطية (الاستبطانية).

2- **الأصول البيولوجية**: أدى مدلول تطور العضويات بالإصطفاء الطبيعي أو الداروينية إلى رؤية السلوك الإنساني في ضوء سياقه البيولوجي، كما قدم **فرويد** الذي ألح على نظرية الدوافع و الشخصية، كما أدت الدراسات الفيزيولوجية "**بافلوف**" إلى تأثير عميق في دراسة سيكولوجيا التعليم الحيواني والبشري ودراسة الإدراك وعلم النفس النمائي مما أدى إلى نشوء علم النفس المقارن

الحديث على يد "**لويد مورقان**" الذي يرى أن السبيل الوحيد للمعرفة هو الملاحظات التجريبية ضمن شروط مضبوطة عموما نستطيع القول أن علم النفس مدين لجذوره البيولوجية والفلسفية المختلفة.

3- **التيار السيكولوجي:** نجد دراسات " **فيبر وفيخنر**" التجريبية التي كانت بداية ما يسمى علم النفس التجريبي، كما أنشئ أول مخبر لعلم النفس في "**لايبزغ**" ألمانيا 1879 على يد فونت وهي عبارة على دراسات سيكولوجية في ميدان **السيكوفيزياء** أي تناول العلاقات بين المثيرات الفيزيائية والإحساسات التي تستجرها وكان شاغل "فونت" الأساسي زمن الرجع الإنساني "زمن الكمون" أي الزمن الذي يستغرقه شخص ما للاستجابة لمثير معين وكانت هذه الدراسات المخبرية معنية بالرؤية والسمع والانتباه على مفحوصين بشر و الابتعاد على علم النفس الفلسفي.

4- **الروافد العلمية الأخرى:** جذور علم النفس الحديث لا تقتصر على الأصول الثلاث السالفة الذكر فهناك تأثير هام مبكر مرتبط باسم **فرانسيس غالتون** رائد المقاربة الكمية في دراسة الفروق الفردية ودراسة وراثة العبقرية عام 1890 م وألح على الإجراءات الكمية مما ساعد على نمو حركة القياس النفسي وظهور إيديولوجيات متباينة كالسلوكية و الجشطالتية والتحليل النفسي والأنثربولوجيا (**مالينوفيسكي ومارغريت ميد**) قاموا بدراسة حول آثار أنماط تربية الأطفال وتأثيرات الخبرات الثقافية المبكرة في بناء الشخصية (أفكار حول السلوك السوي والمقبول اجتماعيا في إطار الثقافة الخاصة بالمجتمع.

*- وقد تنازعت في علم النفس نزعتان متطرفتان متعاكستان هما:

1- البيئة: التي تلح على جاهزية الفرد للمؤثرات الاجتماعية الثقافية وهي ممثلة في الذين يعتبرون عقل الوليد لوحة بيضاء كالفلاسفة الخبريين(الإنجليز)، السلوكين، الفرويديين، البافلوفيين، والأنثربولوجيا الاجتماعية.

2- الفطرة: وهي ممثلة بفلاسفة مثل (ديكارت- لايبنتز- وليام ماك دوغال)الذي شدد على أهمية الغرائز في السلوك البشري وعلماء الايتولوجيا وهي دراسات علم النفس من وجهة نظر علم الحيوان أو هي دراسة السلوك وقد ساعدت علم النفس بقدر كبير.

- وهناك روافد أخرى أثرت في علم النفس المعاصر مثل: **السيبر نتيقا** (تهتم بدراسة الضبط والاتصال عند الإنسان والآلة) المدخلات والمخرجات التغذية الراجعة **Feed- back** وهي رد فعل من خلال سلوك على المثير.

تعريـــف علـــم النفـــس

مقدمـــة:

ليس باليسير أن نقدم تعريفا لعلم النفس يحظى بقبول عام نظرا لتنوع منابته وسعة الميدان الذي يبحث فيه وتغطيه اهتماماته والخلافات العلمية والفلسفية بين علمائه ومدارسه، فالفيلسوف و عالم النفس الأمريكي الشهير **وليام جيمس** "1842– 1910" يعرفه في كتابه "دروس مختصرة في علم النفس", بأنه:" وصف حالات الشعور وتفسيرها..."، وظل هذا التعريف مقبولا في U.S.A لفترة طويلة، أما في أوروبا فإن كتاب **جيمس سولي** كان معتمدا في إنجلترا وعنوانه"المجمل في علم النفس " فيعرفه بأنه:" العلم الذي يهتم بحوادث العالم الداخلي"، كما عرفه **فونت** عام 1892م ويعتبر الأب المؤسس لعلم النفس على أنه :" العلم الذي يبحث في الخبرة الداخلية للفرد، أي في الإحساس والمشاعر والإرادة...تمييزا له عن العلوم الطبيعية التي تبحث في الخبرة الخارجية إلا أنه عدل هذا التعريف عام 1896 فاستعمل تعبير الخبرة المباشرة مشيرا بذلك إلى خبراتنا حول الأمور الخارجية إلا أن التعريفات العقلية انتقدت من جانب السلوكية التي طبعت علم النفس الأمريكي، ففي عام 1913 نشر "**جون برورداس واطسن**" مؤسس السلوكية مقالا بعنوان" علم النفس كما يراه السلوكي" عرف فيه علم النفس بأنه فرع تجريبي موضوعي من العلم الطبيعي، هدفه النظري التنبؤ بالسلوك وضبطه وعليه فإن علم النفس في نظر السلوكيين «هو علم السلوك» وقد قامت محاولات توفيقية عرفت علم النفس بأنه علم الخبرة والسلوك، على اعتبار أن بعض علماء النفس متخصصون في دراسة السلوك في حين أن الأغلبية تهتم بدراسة الخبرة و السلوك معا.

– أما فيما يخصنا فنستطيع قبول التعريف التالي[4]:

« علم النفس هو علم السلوك البشري والحيواني المطبق على المسائل الإنسانية»

إن هذا التعريف يحتاج إلى مزيد من التوضيح لجوانبه المختلفة:

– **السيكولوجيا** علم, والعلم: بنيان من المعرفة المنهجية التي يجري تحصيلها بملاحظة الأحداث(الظواهر) وقياسها، وتجارب يصممها الباحث لاستدعاء الأحداث المراد دراستها وبهذه الخصائص أصبح علم النفس علما ميدانيا له جانبه التطبيقي كما يقول الجزء الثاني من التعريف، وتطبيق المعرفة على المسائل العلمية فن ومهارة، فالمعالج النفسي الذي يتحدث إلى عميل (مفحوص) قلق، وعالم النفس التربوي الذي يقدم منشوراته لتلميذ ما من أجل حل مسألة دراسية وعالم النفس الاجتماعي الذي يحاول إنهاء توتر في العلاقات بين إدارة مؤسسة والعاملين فيها يمارسون فن علم النفس من خلال خبراتهم.

أما كلمة **سلوك:** فهي تشمل أي شيء يفعله الإنسان أو الحيوان هو أكبر من مجرد الحركات الجسدية فيمكن أن يشمل على المشاعر والاتجاهات والأفكار فكما يستخدم الكيميائي في مبادئ العلم لتفسير الأحداث الكيميائية، يستخدم عالم النفس مبادئ العلم لفهم السلوك والتنبؤ به.

– هناك سؤال يطرح نفسه بإلحاح: لماذا يشتمل تعريف علم النفس على السلوك الحيواني؟[5]

– إن السلوك الحيواني هام من حيث ما يقوله لنا عن أنفسنا، فالدراسة المقارنة للسلوك الحيواني لدى عدة أنواع حيوانية مثلا، يمكن أن تعطي ضوءا وإيضاحا عند الفعاليات الإنسانية المماثلة، بالإضافة إلى تقبل التجارب الحيوانية شروط الضبط العلمية أشد من تقبل التجارب التي تجري على المفحوصين من البشر لهذه الشروط.

مثال: فمعظم ما نعرفه عن العمليات الأساسية في تكوين العادات مثلا جاء من تجارب أجريت على الحيوانات وتم تعميمها على الإنسان، وأخيرا كرامة الإنسان وقيمة حياته تستوجب استخدام الحيوانات في التجارب الخطيرة.

ملاحظة: وما تجدر الإشارة إليه بأن دراسة السلوك ليست مقتصرة على علم النفس، فالطب النفسي والأنثربولوجيا وعلم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية والجغرافيا والتاريخ تدرس بدورها وجوها متنوعة من السلوك وهي تؤلف مع علم النفس مجموعة العلوم السلوكية وما يميز علم النفس عنها هو انشغاله الحصري بالسلوك من جهة والتنوع الواسع من أنواع السلوك المدروسة من جهة أخرى.

أهداف علم النفس:[6]

سنورد أهم الأهداف كما لخصها **زمباردو** :1980

1– وصف ما يحدث من سلوك ونشاطات وخبرات وذلك بجمع البيانات المتعلقة بالسلوك المدروس وتفسيره ضمن نظرية معينة .

2– التنبؤ بما قد يحدث من سلوك: وذلك بناءا على خبرات سابقة وفهم ما بينها من علاقات لتصور علاقات جديدة.

3– ضبط ما يحدث من سلوك: للتحكم في مختلف المتغيرات وتعديل سلوك المنحرف.

4– تحسين مستوى المعيشة وذلك بتغيير ما يحدث نحو الأفضل في مختلف المجالات (صحية تربوية،إخ... إلخ)

الأهداف المعاصرة لعلم النفس الاكلنيكي[7]:

1 -العمل على اكتشاف أسس الصحة النفسية والعقلية والارتقاء بها للأفراد والجماعات.

2 -تطبيق مبادئ الصحة النفسية والعقلية لانتقال الأفراد والجماعات لحالة أفضل من التوافق.

3 -التحرك في أساليب العلاج من الحالات الفردية إلى الأسلوب الجماعي لأن الأغلبية الساحقة من البشر تحت أعباء الضغط والإجهاد ويعتبر"**ماتيديمونت**" أحد عمالقة هذا الاتجاه.

4 -التركيز على أو نحو تحويل الاتجاهات وتعديل السلوك لمصلحة الفرد والمجتمع.

5 -الاهتمام الزائد والمتنامي بدور الاختبارات والقياس في الأسلوب التجريبي و المناهج العلمية والتنبؤ.

6 -الارتباط الدائم بالواقع في تشخيص جذور المرض وفي اقتراح سبل العلاج وتغيير الواقع البيئي كشرط أساسي لإعادة المعايير للواقع ويعتبر العالم "**وليام غلاسار**" أحد أبرز أقطاب هذا الاتجاه.

* مدارس علـــــم النفـــــس:

مقدمـــــة:

لعل أول ما يلاحظه الناظر في علم النفس أنه علم فتي نسبيا نشأ في مطلع القرن 20 م (مخبر 1879م)، فهو تعدى السوي الراشد إلى الحيوان وإلى الطفل، المريض، الجمال...ولجأ إلى التطبيق فأوجد مقاييس (الذكاء، الشخصية...)، وانتقل من المدرسة إلى المعمل ثم دخل العيادة والجيش وكان في كل هذا علم يفور بالنشاط...

* **ما المقصود بالمدرسة؟**: هي جماعة من العلماء، يتقدمون بنظام من الأفكار تهدف إلى تبيان الطريق الذي يجب أن يتبعه الجميع ليكون العلم ذا قيمة نظرية وعملية، ويمكن أن نلخص هذه المدارس فيما يلي:[8]

1- المدرسة الربطية (الترابطية) : وهي مدرسة بريطانية قديمة، اتخذت في أمريكا عام 1898 م شكل المثير والاستجابة، واتخذت في روسيا عام 1903م شكل الارتكاس الإشراطي، وتهتم خاصة بالتعلم والتذكر، ويجب على عالم النفس (المختص النفسي) دراسة مبادئ ترابط الأفكار أو الكلمات أو ترابط المثير والاستجابة S-R محللا الأحداث المعقدة إلى أحداث أبسط وهذا هو الطريق المباشر لفهمها.

2- المدرسة البنائية (البنيوية): أصلها ألماني أنشأها فونت بمختبره عام 1879م وبرزت وتطورت في أمريكا **(تتشنير)**، ويجب على عالم النفس أن يدرس بنية ومحتويات الشعور من خلال الإستبطان منقبا دائما على أبسط العناصر التي يتألف منها الشعور وتركز كثيرا على الإحساس.

3- المدرسة الوظيفية: قديمة واسعة المدى غير محددة تحديدا دقيقا وسميت بهذا الاسم في أمريكا عام 1898م وتهتم بـــ: كيف نفعل وكيف ندرك؟ ويجب على عالم النفس أن يعنى بالدرجة الأولى بوظائف النفس والسلوك في مجال تكيف العضوية مع المحيط.

4- المدرسة السلوكية: هي مدرسة أمريكية بدأت سنة 1912م تهتم بالفاعلية الحركية الشخصية يجب على عالم النفس أن يدرس سلوك العضوية من خلال مناهج موضوعية خالصة ولا يمكن للشعور أن يكون موضوعا لعلم النفس.

5- مدرسة الجيشطالت (الشكلية): بدأت في ألمانيا عام 1912م ترتكز على الإدراك كموضوع لعلم النفس , ولا يستطيع عالم النفس أن يصل إلى نتائج وصياغات مفيدة ذات معنى إلا من خلال دراسة الكليات ذات الدلالة أما التحليل والتجزيئ فلا يمكن إلا أن يكون مضللا.

6- مدرسة التحليل النفسي: (سيجموند فرويد S.FREUD): بدأت في النمسا عام 1900 يهتم بالرغبة وتعتبر نواة علم النفس الدوافع الغريزية ومعظمها لا شعوري وجنسي.

يجب أن يدرس من خلال تحليله بعد ظهوره في الأحلام، زلات اللسان، الهفوات، التداعي الحر.

7- **المدرسة الغرضية (القصدية الغائية):** "**وليام ماكدوغال**" مدرسة بريطانية بدأت عام 1908م تهتم بالفعالية القاصدة(كل سلوك وراءه غرض أو قصد أو غاية معينة...)

8- **مدرسة التحليل العاملي: A. Factorielle**: فهي تهتم بالعوامل الأولية التي تتكون منها الشخصية وقسمها "**سبيرمان**" إلى عامل عام **F.G** وعوامل طائفية أو خاصة **F.S** ودراسة العلاقة بينهما في تفاعل ينتج السلوك، وتعتمد كثيرا على الوسائل الإحصائية في تحليل بياناتها.

9- **سيكولوجية جون بياجيه J.Pieget النمائية (التكوينية):** التكيف يلخص كل فعالية العضويات الحية وتطور العلاقة بين وجهي **التكيف: 1- التمثل 2- المطابقة** واتجاههما نحو **التوازن** يفسر أن كل الوقائع العقلية والسلوكية والانفعالية في حياة الكائن لذلك يجب أن يركز علم النفس على دراسة مراحل النمو العقلي.

* إن كل مدرسة من هذه المدارس كلاسيكية كانت أو معاصرة هي استمرار بين المحتوى الفلسفي للمدرسة والاكتشافات الخبرية التي تصادف أحيانا وتنشئ المدرسة.

س/ لماذا نشأت هذه المدارس؟ وكيف نشأت هذه المدارس؟

ج/ لقد كانت محاولات للتقدم في دراسة موضوعات علم النفس كالتعلم والتذكر والإدراك والانفعالات والشعور واللاشعور وبسبب هذا النشاط المتنوع والغني تفرقت بهؤلاء العلماء السبل وتشعبت بهم المسالك وكانت المدارس، وسنعمل على دراستها، ونأخذ من كل واحدة إسهاماتها الفعلية والتي دفعت علم النفس إلى الأمام ونترك جانبا مبالغات وتعسفات كل مدرسة وأصحابها.

* المدرســـة الترابطيـــــة "الذرانيـــة"

تعد من أقدم المدارس السيكولوجية ولقد بدأت واعتبرت مبدأ أكثر منها مدرسة "مبدا الترابط" بحيث تطرح السؤال التالي:

س/ كيف نعرف؟ أو كيف نتعلم؟.

ج/والجواب من خلال الحواس وتأتي الأفكار المعقدة من أفكار أبسط.

س/ من أين تأتي أفكار التفكير؟.

ج/ أجاب الربطيون " من الخبرة الحسية الماضية" ويعتبر أرسطو أول ربطي خاصة في موضوع "التذكر"، حيث يقول أن شيئا ما يذكرك بشيء آخر.

س/ وتساءل إذا كانت "أ" تذكرك بـــ "ب" فما هي الصلة بين"أ"و"ب".

ج/ أجاب بأن الصلة تكون أحيانا صلة تشابه أو صلة تضاد، أو تجاور أو اقتران.

مثال: شخص يشبه شخص آخر فيذكرك به أو لأنهما متضادان أو لائك رأيتهما سويا وسميت هذه الصلات بقوانين الترابط أو قانون الاقتران في الخبرة والجدول التالي يلخص مبادئ الارتباط التي قبلها أبرز الوجوه في الحركة الربطية:[9]

- **وتقسم الربطية إلى قديمة وحديثة:**

1- الربطية القديمة (خاصة الخبرية البريطانية): تمتد إلى العصر اليوناني مع أرسطو وتعد أقرب محاولة للمدرسة في الربطية ما يطلق عليه الخبرية البريطانية ويبرز علماء بإسهاماتهم وهم **(جون لوك، باركلي، دافيد هيوم...)** ولقد قبل أبرز الربطيون القدامى مبادئ أربعة للارتباط وهي:

التجاور، التشابه، التضاد، السببية.

*** مفهوم علم النفس من وجهة نظر المدرسة الربطية:**

لم يقدم "**ثورندايك 1874م-1949م**" تعريفا صريحا لعلم النفس ولكنه متضمن في كتاباته حيث أن علم النفس في نظره:"دراسة ترابط المثيرات والاستجابات والصلات بينهما".

وتنشأ هذه الارتباطات عن أوضاع داخل الدماغ كما تنشأ عن أوضاع خارجية والأشياء المترابطة يمكن أن تكون علاقات دقيقة أو اتجاهات أو مقاصد...إلخ.

وعلى الرغم أن ثورانديك لم يعلن إنتمائه إلى مدرسة معينة فقد كان تفكيره ربطيا في كل أبحاثه، وكان أعظم إسهام له في النظرية السيكولوجية قانون الأثر الذي صاغه من خلال تجاربه الشهيرة على القطط ونلخص هذا القانون فيما يلي:

« أي فعل ينتج , في وضع ما, إشباعا يصبح مرتبطا بذلك الوضع، حيث يزيد ميل هذا الفعل إلى الحدوث كلما حدث هذا الوضع، وعلى العكس من ذلك فأي فعل ينتج إزعاج ينفصم عن ذلك الوضع، بحيث يقل ميل هذا الفعل إلى الحدوث كلما حدث هذا الوضع».

- وبالإضافة إلى اكتشاف **قانون الأثر** الذي ينص على: دور المكافأة في تثبيت الاستجابة الناجحة كما وسع نظريته في التعزيز.

2- **الربطية الحديثة: (إينغهاوس، بافلوف، تشتريف...)** في مطلع ق 20م انتقل الترابط من الأفكار إلى ترابط المثيرات والاستجابات أي انفصال علم النفس عن الفلسفة وأصبح علما تجريبيا مستقلا ونذكر هنا:

أ- هيرمان إينغهاوس: عالم بارز في تاريخ الربطية الحديثة، درس التعلم والتذكر (منحنى النسيان والتذكر، مقاطع عديمة المنحى وعلاقتها بالاستدعاء).

ب- بافلوف: اكتشاف الارتكاس الاشراطي الذي كان له تأثير كبير في السيكولوجية العلمية، ويعتبر عمل "بافلوف" استكمالا لانتقال مفهوم الارتباط من تطبيقه التاريخي على الأفكار إلى العلاقات بين (م - س) بين إفرازات غدية وحركات عضلية عالية الموضوعية وقابلة للقياس الكمي سرعان ما استغلت بها السلوكية.

جـ- فلاديمير بتشتريف: 1857-1937: الاستجابة الإشراطية الحركية وهو الوجه الثالث البارز في ابتعاد الربطية عن الأفكار (الفلسفة) نحو السلوك.

ملاحظة: الارتكاس الإشتراطي = هي الاستجابة المتعلمة.

ولقد توسع بمبدأ الإشراط ليشمل العضلات المخططة ويتضمن نموذجه الأساسي توقيع صدمة كهربائية مثلا على يد شخص أو قائمة كلب بعد عرض مثير اشراطي كالجرس مثلا.

الدور المعاصر للربطية:

إذا توسعنا في تفسير الربطية، فسوف نرى أنها ترادف، عمليا تفسيرا تقليديا للعلم: فهي إيمان بأن المهمة الأولى للعلم هي الربط بين الظواهر أي البحث عن علاقات وظيفية، ويمكن اعتبار ثورانديك، مثل كاتل وهول من رواد الوظيفية، ويستطيع المرء أن يكون وظيفيا دون أن يكون ربطيا كما هي الحال بالنسبة إلى جيمس وديوي مثلا، وبالمقابل يمكن للمرء أن يكون ربطيا دون أن يقبل من الوظيفية شيئا خلاف الصفة النهجية المشتركة، كما هي الحال بالنسبة لعدد من السلوكيين الجدد، فالوظيفي يلح على التكيف عامة أكثر مما يلح عليه الربطي، كما أن الوظيفيين قد يدرسون هذا التكيف على مستوى حقبة طويلة من التطور، في حين ينزع الربطيون إلى الاقتصار على حياة العضوية الفردية.

وفضلا عن ذلك، فمعظم الربطيين أضيق نظرا من الوظيفيين إذ يحاولون تفسير التفكير والسلوك المعقدين بمجرد ترابط الأفكار وثورندايك فسر السلوك بمجرد الارتباطات الموروثة أو المكتسبة بين مثيرات واستجابات، أما منظروا الربطية الحاليون فينزعون إلى مزيد من مهمات العلم أما يمكن الربط بينه فإنه يبقى مسألة حرجة من مسائل العلم.

وهناك أربعة خطوط مترابطة في التطور الجاري للربطية، إن البحث في المنعكس الإشراطي مستمر، في الاتحاد السوفياتي أو والعمل السوفياتي ضن تقاليد بافلوف وبتشتريف قد بلغ درجة من التقدم أدهشت معظم المطلعين وغريغوري رازان عدل، في الولايات المتحدة، إجراءات بافلوف لتطبيقها على أشخاص بشريين.

ونظرية المثير- الاستجابة السلوكية الجديدة التي صاغها هل تمثل نفوذا مستمرا هاما جدا، ثانيا ومن جديد تركز الهم الأساسي، هنا على التعلم الحيواني والإنساني حيث كان هل نفسه واحد من أكثر مستعملي الربطية الخاصة، وهناك نوع أشد مرونة من الربطية م- س واضح في عمل ميلر وجن دولار حيث اتسعت مفاهيم م- س لتشمل ميداني السلوك الاجتماعي والسلوك المرضي.

وهناك خط ثالث تمثله نظرية غاثري الربطية المبكرة، كما يمثله النوع الرياضي الأحدث من هذا التفكير في نظرية التعلم الربطية الإحصائية لدى ايستس، في كتابات أحدث (1959)، إلى قبول التعزيز كمفهوم وصفي وإن لم يكن كمفهوم تفسيري.

وأخيرا، فإن هناك صورا من الربطية أقل تقليدية من الصور السابقة، ولكنها لاقت نجاحا كبيرا، وأبرز مثالين على هذه الصور هما نظريتا تولمان وسكنير في التعلم، إن نظرية تولمان السلوكية القصدية نموذج معرفي من نظرية التعلم يلح على الربط بين المثيرات، أما بالنسبة لسكتير، فقد سبقت لنا الإشارة إلى الصلة الفلسفية الوثيقة بينه وبين ثورندايك، وأهم تمييز بين موقف سكنير وموقف ربطي نموذجي هو كون سكينر يعلق القليل من الأهمية علىالعلاقة م- س، في حين يعنى بأشد العناية بالعلاقة بين الاستجابة والتعزيز.

الأحدث تنطلق من إعادة لصياغة المسائل البنيوية الأساسية والانفصال النهائي عنها، وهذه الواقعة كافية وحدها لجعل التحليل الاستبطاني لدى فوندت وتتشنر موضوعا ضروريا للدراسة المعاصرة.

نقـــد الربطيـــة

1- **النظرية التجزيئية:** يعاب عليها أنها نظرية تجزيئية في حين هناك من يرى أن علم النفس يعني مباشرة بالكليات.

2- **المحاولة والخطأ:** هوجم "ثورنداك" لإلحاحه على عشوائية التعلم والذي وصف بأنه عملية محاولة وخطأ(وخاصة من طرف الجشطالتيون، ويرون بأن سلوك الحيوان في صندوق أو متاهة سلوكا عشوائيا غبيا لأنه في موقف غبي وليس لأن التبصر يخصه حقا .

3- **التدريب:** عدم كفاية قانون التدريب في التعلم.

4- **قانون الأثر:** قانون دائري أي أنه تكرار لا يقدم جديدا (نقد سلوكي وجشطالتي للربطية).

- وعموما فقدامى الربطيين حاولوا تفسير التفكير والسلوك المعقدين بمجرد ترابط الأفكار، و"ثورندايك" فسر السلوك بمجرد الارتباطات الموروثة أو المكتسبة بين مثيرات واستجابات، أما الربطية الحديثة فترى أن المهمة الأولى للتعلم هي ربط بين الظواهر أي البحث عن علاقات وظيفية.

المدرسة البنـــــــــائية

مقدمـــــة:

السيكولوجيا الاستبطانية المتطورة المعروفة باسم البنيوية أو (الوجودية أو التركيبية) التي تعنى بدراسة البنية في البيولوجيا العضوية واهتمت بفهم الشعور والإحساس وبنية العقل ككل ومن أبرز روادها "**فونت–تتشنر– كاتل..**".

أبرز وجوه البنيوية[10]

التأثيرات السابقة	الرائدان المؤسسان	مطوروا اتجاهات متصلة بنيوية
فرانز برنتانو (1838–1917) غوستاف فيخنر (1801–1887) هيرمان فون هلمهولتز (1821– 1894)	ولهلم فوندت – لايبزيغ (1832– 1920) أدوار تتشنر– كورنيل (1867– 1927)	كارل ستومبف – برلين (1848– 1936) ج. مولر– غوتنغن (1850– 1934) أوزوالدكولبه– فورزبورغ (1862– 1915) ج.نيت– جامعة واشنطن (1888– 1970) ادوارد بورينغ– هارفارد (1886– 1928)

–**وسميت"بنيوية** " لأنها تهتم بدراسة بنية العقل الذي يتمثل في الشعور وذلك بوصف الخبرة الحسية الشعورية لدى الفرد وتحليلها إلى عناصرها واكتشاف روابطها ثم تحديد موقع الأبنية المرتبطة بها في الجهاز العصبي.

–**وسميت وجودية** لاعتقاد البنيون أن عناصر الخبرة الشعورية موجودة وجود الأشياء المادية الفيزيائية مثل: الصوت، الضوء،..

–**وسميت تركيبية** لاعتقاد "فونت" وأتباعه بأن الخبرات الحسية والعقلية المعقدة هي في الواقع تركيبات مبنية من الخبرات الحسية الأبسط ويعود ذلك لتأثرهم بعلم الكيمياء (التحليل).

–

-**تعريف علم النفس من وجهة نظر البنيوية**[11]:

تقدم البنيوية تعريفا لعلم النفس على أنه « هو الدراسة التحليلية لعقل الراشد السوي المعمم من خلال الاستبطان».

-**الدراسة التحليلية**: تحليل الخبرة الشعورية إلى عناصرها الأولية(للتأثر بالكيمياء).

-**الشعور**: الحياة الواعية للانسان الراشد أي استثناء الطفل من الدراسة.

-المعمم: تعنى قناعة تتشنر وفونت من قبله بأن علم النفس ليس معنيا بالفروق الفردية.

-السوي: تستبعد البنيوية" الاضطرابات العقلية والشواذ عموما من ميدان علم النفس".

2- منهج الدراسة : الاستبطان أو الملاحظة الذاتية المضبوطة لمحتويات الشعور ضمن شروط تجريبية وهي مستمدة من الفيزياء، فالاستبطان هو إحساس بالاحساس أو انعكاس الشعور على نفسه ويتأمل الفرد لما يجري داخل ذهنه للكشف عن الجوانب الخفية للأفعال ووصفها وتسجيلها والتقرير بها ويشمل"الاستبطان" الخبرات الشعورية البسيطة والمعقدة الحاضرة والماضية.

3- سيكولوجية أو"بنيوية" فونت: يقول "فونت" أن موضوع علم النفس هو الخبرة المباشرة بالمقابلة مع الخبرة الوسيطة (وهي المستخدمة) لمعرفة شيء آخر أو إضافي عن الخبرة نفسها مثلا: فإذا حاولنا وصف خبرتنا بصدد ألم في الضرس فنحن معنيون بالخبرة المباشرة أما إذا بدأنا بالاتفاق مع طبيب الأسنان في استعمال هذه الخبرة لمعرفة مكان الصعوبة والأسباب التي أدت إلى خبرة الألم وطبيعتها فنحن نستعمل الخبرة الوسيطية والخبرة في كلا الحالتين هي نفسها ولكن الهدف هو الذي تغير، ولقد كان "فونت" يرى أن مسألة التجريب في علم النفس مثلثة الأبعاد:

1 - علينا أن نحلل العمليات الشعورية إلى عناصر.

2 - وأن نكتشف كيف تترابط هذه العناصر.

3 - وأن نحدد قوانين ترابطها.

-ولقد اهتم"فونت" بدراسة زمن الرجع- التذكر- التفكير- الحواس(البصر خاصة), الإنتباه , التعلم , التخيل .

4- سيكولوجية "بنيوية"تشتنر « 1867-1927»: عالم نفس بريطاني وتلميذ فونت عمل على نشر البنيوية في U.S.A.

س1/ ما هو الشعور؟ يعرفه تتشنر على أنه : « المجموع الكلي لخبرات الشخص على ماهي عليه في زمن ما.»

الخبرة الشعورية = الأحاسيس + الصور الذهنية + المشاعر.

العقل: هو المجموع الكلي لخبرات الشخص من حيث هي متوقفة على الشخص من الولادة حتى الموت ويذكر تتشنر ثلاثة مسائل لعلم النفس شبيهة بأبعاد "فونت".

* غرض علم النفس مثلث الجوانب, فهو يسعى إلى:

1- تحليل الخبرة العقلية الشعورية المشخصة والحالية إلى أبسط مركباتها.

2- الكشف عن كيفية تراكب هذه العناصر وعن القوانين المسؤولة عنها والتي تنظم تركيبها.

3- ربطها بشروطها الفيزيولوجية.

* وقد اتضح أن ملاحظات فونت وتتشنر من بعده الاستبطانية قد تحققت من عناصر الشعور الثلاث الأساسية التي جاءت من الخبريين الإنجليز وهي:

الاحساسات- الصور الذهنية- المشاعر الوجدانية.

وكانت الصور عناصر الأفكار والاحساسات عناصر الإدراك.

س2/ كيف نصف بناء الخبرة الشعورية؟ يجيب ويقول فونت أن كل خبرة مركبة.

- فإذا كنت سيكولوجيا بنائيا فلا تكتفي بالتحليل المنطقي(الخبرة مركبة من حاسة البصر والذاكرة)، فلابد أن تستبطن ذاتك وتتأمل في الخبرة وما قدمه التذكر.

النقـــــد:

لقد قدمت البنيوية إسهامات هامة في علم النفس، فقد حررته من الميتافيزياء وأعطته موضوعا مضبوطا ووقائع تجريبية، غير أن أعنف هجوم استهدف قلبها أي منهجها الاستبطاني الذي يكتفي بدراسة بنية الشعور في حين لابد من فهم وظائف الشعور وتوظيفها في حل مشكلات الحياة، زيادة على أن الاستبطان هو تذكر راجع يأخذ وقتا والنسيان سريع، ومن الممكن أن تؤدي ضرورة التذكر إلى تجميل الخطأ وتصحيحه، كما أن هناك وقائع نفسية يستحيل الوصول إليها عن طريق الاستبطان كالمعاني والدوافع اللاشعورية (نقد المدرسة التحليلية)، كما أنها أهملت دراسة الفروق الفردية، كذلك انتقدها السلوكيون لموضوعها المتمثل في الشعور واعتبر امتداد للفلسفة وهناك من يقول أن البنيوية مدرسة ميتة.

المـــــــدرسة الوظيفـــــــــية

مقدمـــــــة:

تعتبر أول مدرسة لعلم النفس أمريكية حقا بزعامة"**جون ديوي**"صحيح أنها لم تنشأ نظرية متميزة ولم تكن مدرسة أو نظامها بالمعنى القاطع للكلمة ولكن معارضتها المبكرة للبنيوية، قدمت خدمة حقيقية لعلم النفس حيث استمر الوظيفيون في التنشيط الفعال للبحث التجريبي كالتعلم الانساني والحيواني وعلم النفس المرضي والعقلي وعلم النفس التربوي.

بدأ ظهورها مع السلف القائد" **وليام جيمس** 1842- 1910" ويؤكد على أهمية وظائف العمليات النفسية بغض النظر على البنية التي تحتويها، وصاغ نظريته في الانفعالات التي ترتكز على الاستجابات البيولوجية وعموما هناك وجوها هامة في السيكولوجيا الوظيفية الأمريكية سنوضحها في الجدول التالي[12]:

الوجوه الهامة في السيكولوجيا الوظيفية الأمريكية:

التأثيرات البريطانية	الرواد	المؤسسان	المطوران
الفروق الفردية، اللاوائز العقلية، الإحصاء سير فرنسيس غالتون (1842- 1911) نظرية التطور تشارلس داروين (1809- 1882) السلوك الحيواني جورج رومانيس (1848- 1894) تشارلس لويد مورغان (1852- 1932)	جورج لاد (1842- 1921) ادوارد سكريبتر (1864- 1945) جيمس ماك كين كاتل(1860-1944) غرانفيل ستانلي هول (1844- 1924) جيمس مارك بلدوين (1861-1934) وليم جيمس (1842- 1910) ادوارد ثورندايك (1874- 1949)	جون ديوي (1842- 1921) جيمس أنجيل (1869- 1949)	روبرت وودورث (1869- 1962) هارفي كار (1873- 1954)

إن هذا الجدول يبين أن ثلاث مجموعات من علماء النفس أسهمت في نمو الوظيفية، [13] إن الرواد هم علماء نفس متقدمون أرسو قواعد النمو اللاحق للوظيفية بفتح نوع كبير من مجالات البحث الجديدة، كالسلوك الطفولي والحيواني مثلا.

وأقام المؤسسان جون ديوي وجيمس أنجيل، الوظيفية كنظام، وكان المطوران روبرت وودورث وهارفي كار، مسؤولين عن نضج النظام وصياغته.

وتظهر في الجدول، أيضا ثلاث سوابق كلها بريطانية الأصل، فتشارلس داروين سلط الأضواء على دراسة السلوك الحيواني كما سلطها على نظرية التطور العضوي الحديثة، وافتتح غالتون المتأثر بنظرية التطور دراسة القدرات البشرية، وركز رومانيس ومورغان تركيزا إضافيا على دراسة السلوك الحيوان، وقد تأثر جيمس وهول وبلدوين تأثر مباشرا بنظرية التطور، وكان هول معنيا، أيضا بالروائز والفروق الفردية، وكان كار معنيا بالدراسات الحيوانية أكثر من سلفه المباشر أنجيل، وقد ذكر بلدوين ولاد وسكريبتر لإسهاماتهم في إرساء قاعد الوظيفية، إلا أن دورهم لم يكن من الأهمية بحيث يستدعي معالجة مفصلة، وكانت لدى ثورندايك، في بداياته، اهتمامات قوية بالبحوث الحيوانية وكانت له اتصالات حميمية مع كل من جيمس وكاتل، وكان من الممكن أن ترد نظريته الارتباطية في هذا الفصل كما وردت في فصل الربطية.

وقد استبعد الجدول رجلين تدربا أصلا على أيدي الوظيفيين ثم انشغلا في تطوير مدرسة أخرى، فجون واطسن تدرب وظيفيا وحصل على شهادته بإشراف انجيل ثم تحول إلى السلوكية، ويمضي برغمان إلى حد اعتباره آخر الوظيفيين وأعظمهم، وولتر هنتر نتاج آخر لمدرسة شيكاغو الوظيفية بالرغم من أنه يعد نفسه سلوكيا، إلا أن إنشاءه وقيادته لمخبر صغير، ولكنه نشيط ومنتج في جامعة براون، يبرر الإشارة إليه في هذه اللمحة السريعة: فالأبحاث التي جرت، لعدة سنوات في براون، وكانت ذات نكهة وظيفية قوية وتعادل أبحاث كولومبيا في المستوى الرفيع وان لم تعادلها في الكمية.

ويبدو أننا حيال تيار تطور نظامي: فمعظم طلاب فوندت الأمريكيين – لاسيما كاتل وهول– عادوا إلى الولايات المتحدة وأصبحوا وظيفيين وتحركوا في اتجاه الوظيفية، وطلاب الوظيفيين، مثل واطسن وهنتر، مضوا أبعد من ذلك في اتجاه الموضوعية وأصبحوا سلوكيين أو قريبين من السلوكية.

أسلاف الوظيفية:

أثار داروين (1809– 1882) إحدى أكبر المعارك في تاريخ العلم، وهي معركة لم ينجل غبارها حتى اليوم على اعتبار أنها تمس أعمق المعتقدات الإنسانية، والمفارقة الساخرة هي أن داروين كان عالما حريصا، وأن لم نقل خجولا منعزلا، إلى حد لم يكن معه قادرا شخصيا على الرد على الغضب العام الذي بلغ الذروة مع نشر كتابه" أصل أنواع"(1859)، وهكذا فإن الذي خاض المعركة

نيابة عنه هو توماس هنري هكسلي (1825- 1895)، تلميذ داروين في البيولوجيا وصديقه الحميم، وبالرغم من ذلك فان داروين كان واحد من أهم أسلاف الوظيفية، فقد أقامت نظريته استمرار بين الكائنات البشرية والحيوانات كانت ضرورية لتبرير الدراسة الواسعة لسيكولوجية الحيوان، وقد أخذ إلحاح نظرية التطور على التكيف مع البيئة مباشرة بوصفه "تفسيرا"، السلوك من خلال الغريزة، كما أخذ احتمالا بوصفه مبدأ التعزيز.

واستلهم فرنسيس غالتون (1822- 1911) مواطنه الإنجليزي داروين، وكانت أرستقراطيته دافعه إلى البحث في ضبط الوراثة، ولكنه كان يجب أن يبدأ بإثبات نجع هذا المسعى، وقد قادته هذه الضرورة إلى دراسة وراثة الذكاء البشري، وقد تضمن كتاب"عباقرة وارثيون"(1869) لغالتون دراسات للفروق الفردية في الذكاء، وقد سبق لنا أشرنا إلى اقتفاء كاتل أثر غالتون في هذا الصدد، ولم يلبث ميدان الروز العقلي أن بلغ الذروة مع روز ذكاء مجندي الجيش الأمريكي خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كان لهذا الميدان أثره العظيم في تبرير وجود علم النفس في عيون الجمهور في تلك السنوات الكبيرة في طفولته.

وتقوم أهمية رومانس (1848- 1894) ومورغان (1852-1936)، بالنسبة لعلم النفس، وعلى عملهما في ميدان السلوك الحيوان، ويمثل كل منهما موقفا حيال العلاقة بين الانسان والحيوانات الدنيا، فقد هاجم اللاهوتيون داروين لاعتقادهم أنه يهبط بالإنسانية إلى مستوى الحيوانات.

خدمة حقيقية لعلم النفس في وقت كانت، فيه خطوط هذا العلم الجديد على أهبة الارتسام.

وقد استمر الوظيفيون في التنشيط الفعال للبحث التجريبي في كل الميادين التي كان فيها الوظيفيون المبكرون روادا كالتعلم الإنساني والحيواني وعلم النفس المرضي والروز العقلي وعلم النفس التربوي.

وقد استمر الوظيفيون في التنشيط الفعال للبحث التجريبي في كل الميادين التي كان فيها، الوظيفيون المبكرون روادا كالتعلم الإنساني والحيواني وعلم النفس المرضي والروز العقلي وعلم النفس التربوي.

ويمكن إعطاء مثالين على البرنامج الوظيفي، المثال الأول هو كتاب وودورث"علم النفس التجريبي"(1938) الذي عدله مع شلوسبرغ 1954.وهو كتاب كلاسيكي من نوعه، أي كتاب تعليمي بالأسلوب القديم يعالج معالجة كثيفة وشاملة وقائع ونظريات تتصل بمدى واسع من المسائل التجريبية، والمثال الآخر هو السلسة الواسعة من الأبحاث التي وصلت، مؤخرا إلى أربعة وعشرين بحثا والتي أجراها أندروود حول التدريب الموزع في التعلم الإنساني اللفظي، إن إنتاجية اندروود المستمرة والصابرة في البحث مثال بارز على اتجاه الوظيفي إلى معالجة التفاعلات بين المتحولات الخبرية.

ومن بين الوظيفيين الذين قادوا أبحاثا نشيطة بعض خريجي شيكاغو الذين عملوا بإشراف كار مثل جون ماك جوش والمجموعة الواسعة لدراساته حول التعلم والاحتفاظ اللفظيين (مع طلابه ملتون

واندروود وايربون)، وبنش ببرامج أبحاثه الطويلة حول الانتقال والاحتفاظ، وفرويدماك كيني الذي نقل اهتمامه من التعلم إلى الصحة العقلية والإرشاد، وفيما بعد إلى التعلم في التلفزيون ومسألة القيم في التعليم، وهنري بيترز الذي انتقل كذلك من البحث المبكر في نظرية الهيجان إلى تطبيق تقنيات التعلم الأساسية ثم إلى تحريض الفصاميين المزمنين، إن أحدا من هؤلاء لم ينتج شيئا يشبه البنية الفوقية النظرية الناضجة التي تميز هل وآخرين سواه، ولكنهم لاحقوا المسائل الخبرية بعناية ودقة وكثافة.

*** تأسيس الوظيفية:**

تأسست في جامعة شيكاغو على أيدي **جون ديوي- جيمس رونالد أنجل.**

1 جون ديوي : 1859م- 1952م: فيلسوف ومربي وعالم نفس أمريكي ألح على نقطتين هامتين هما:

أن السلوك الواعي يجب أن ينظر إليه من خلال وظائفه والسلوك تنسيق كلي يكيف العضوية مع الموقف(إن وحدات التحليل الكلية يجب أن تستعمله من أجل الاحتياط ضد المبالغة في التحليل التجزيئي).

وكانت النقطة الأولى بداية لمدرسة علم النفس الوظيفي في جامعة شيكاغو في حين:

كانت النقطة الثانية جشطالتية ذكرت قبل وجود وظهور الجشطالت قبل 20 سنة.

2 جيمس رونالد أنجيل: (1869- 1949): تأثر كثيرا بأستاذه "ديوي" واستخلص ثلاث تصورات لعلم النفس الوظيفي هي :

1 -يمكن اعتبار الوظيفة سيكولوجية **العمليات العقلية** بالتباين مع سيكولوجية **العناصر العقلية** وهذا ما يبرز بوضوح التناقض بين البنيوية والوظيفية في دراسة الوعي أو الشعور فيلاحظ أن الجواب عن السؤال ماذا؟ يجب أن يشمل وظيفيا على سؤالين موازيين هما: كيف؟ ولماذا؟.

2 - يمكن اعتبار الوظيفة السيكولوجية هي الفوائد الأساسية للشعور.

3 - يمكن اعتبار الوظيفة السيكولوجية هي العلاقات السيكوفيزيائية.

فالوظيفة هنا هي سيكولوجية العلاقة الكلية بين العضوية والبيئة وتشمل كل وظائف الجسد والعقل.

ملاحظة: وكان "أنجل" يرى بأن التصورين 1 و2 بالغا الضيق ومحدودين لأنهما يحصران موضوع النفس الوظيفي في الخبرة الشعورية في حين التصور الثالث هو الأفضل، وعموما فهي تصورات مرتبطة فيما بينها.

3- هارفي كار: (مدرسة شيكاغو 1873- 1954م): تخلى أنجل عن رئاسة قسم علم النفس في جامعة "شيكاغو"، ليحل محله تلميذه"هارفي كار" الذي ازدهرت الوظيفية تحت قيادته ازدهارا كبيرا

وسوف نناقش بإيجاز وظيفيته كما هي موصوفة في كتابه بعنوان"علم النفس"(1925) المركز على تكيف العضوية.

* **تعريفه لعلم النفس:**

"علم النفس هو دراسة الفعالية العقلية التي تعني السلوك التكيفي".

- **فعل التكيف:** مفهوم أساسي في علم النفس ويشمل ثلاث أطوار:

1 -مثير محرض. 2- موقف حسي. 3- استجابة تغير الموقف تلبية للشروط المحرضة.

- **الدافع:** مثير مسيطر على السلوك إلى أن تستجيب العضوية بطريقة لا يعود معها المثير فعالا وهناك ثلاث طرق يمكن أن يحل بها الدافع بواسطة فعل تكيفي.

أ -فالفعل يمكن أن يبعد المثير.

ب- أو ينهيه بادخال مثير أقوى.

جـ- أو يحله بتكيف حسي مع المثير .

مسلمات الوظيفية[14]:

1- السلوك في صميمه غائي، غرضي وتكيفي.

2- كل المثيرات الحسية تؤثر في السلوك.

3- ولا يوجد فرق مطلق بين المثير والدافع.

4- كل استجابة تحدد المثير والسلوك عملية متناسقة متواصلة.

5- الوظيفية تفضل التجريب على الملاحظة الذاتية.

6- تعتبر الوظيفية موضوع التعلم الميدان الأساسي في علم النفس.

4/- روبرت وودرت (كولومبيا 1869م-1962م): من أبرز علماء النفس وأول تعبير عن آرائه جاء في كتابه المشهور"علم النفس الديناميكي" (1918م)، لقد ألح على اهمية أخذ العضوية بعين الاعتبار وعلى وضعها في الصيغة الأساسية التي تعبر عن العلاقة التي يتعامل معها علم النفس، وهكذا فهو لم يكتب(م-س)، بل كتب (م-ع-س) موسطا العضوية بين المثير والاستجابة (م-س).

كما ركز أيضا على التحفيز، إذ أن "**كار**" يعرف الحافز بوصفه مثير مستمر، ولكن "**وودورث**" يلح على أخذ الأحداث الفيزيولوجية الكاملة وراء الحفز بعين الاعتبار.

والدوافع عند"وودورث" متصلة اتصالا وثيقا بالاليات والتي تعني الاستجابات الغرضية أو الطرق السلوكية التي تلبى بها الدوافع.

ولقد قال "وودورث" سنة"1948م" « السيكولوجيا التي تعطي جوابا واضحا عن سؤالين: ماذا يفعل الناس؟ ولماذا يفعل ما يفعلون؟ هي سيكولوجية وظيفية».

ملاحظة: اختلف "هارفي كار" على باقي الوظيفيين الآخرين، حيث أنه يشير إلى السلوك كموضوع لعلم النفس بينما الآخرون يهتمون بوظائف الشعور.

النقـــــد:

يتميز الوظيفيون بالانتقائية السطحية للمواضيع.

في تعريفها لعلم النفس تم استعمال كلمة وظيفة، استعمال متذبذب وغامض حيث لها معنيين معنى رياضي يشير إلى التتابع بين م–س، وهذا ليس حكرا على هذه المدرسة.

السلوكيـــــــة(الكلاسيكيـــة والحديثـــة)

مقدمـــــــة:

لم تشهد مدرسة من مدارس علم النفس سعة الانتشار والنفوذ الذي عرفتهما المدرسة السلوكية، وهي مدرسة أمريكية ظهرت سنة 1912م فقد بدأت في علم النفس وامتدت إلى علم الاجتماع والسياسة والتاريخ...(العلوم السلوكية).

ولقد صدرت السلوكية عن:

1- التقاليد الفلسفية (المدرسة الترابطية).

2- والنزعة الوظيفية.

3-وعلم نفس الحيوان.

ومن أبرز الوجوه السلوكية نقدم الجدول التالي[15]:

التأثيرات السابقة	الرواد	مؤسس السلوكية	المطورون
التطور والسلوك الحيواني: تشارلس داروين (1809- 1882)	جيمس ماك كين كاتل (1860- 1944)	جون واطسون (1878- 1958)	ألبرت فايس (1875- 1931)
لوبد مورغان (1852- 1936)	ادوارد ثورانديك (1874- 1949)		والتر هنتر (1889- 1953)
جاك لوب (1859- 1924)	إيفان بافلوف (1849- 1936)		كارل لاشلي (1890- 1958)
امتدادات للتفسيرات الآلية ديكارت (1596- 1650)	فلادمتر بتشتريف (1857- 1927)		ادوار تولمان (1886- 1961)
لاميتري (1709- 1751)	جيمس أنجيل (1869- 1949)		أدوين غاثري (1886- 1959)
كابانيس (1798- 1808)	ماكس ماير (1873- 1967)		كلارك هل (1884- 1952)
الوضعية: أوغست كونت (1798- 1857)			سكنير (1904-)

وأحسن ما نفعله في دراسة هذه المدرسة أن نركزها حول مؤسسها الأول الأمريكي

"جون برورداس واطسن" " J.B.WATSAN": 1878م- 1954م

فالسلوكية بالتعريف هي تعاليم أو أفكار واطسون التي أصبحت رهنا للانتماء السلوكي. وهناك سلوكية قديمة(كلاسيكية مع واطسن, وسلوكية حديثة مع كلارك هيل وسيكتر).

أولا- السلوكية الكلاسيكية: هناك معايير منهجية لسلوكية واطسن نستدل عليها من خلال ما يلي:

* **تعريف علم النفس (من وجهة نظر واطسن)**: «هو ذلك الفرع من العلم الطبيعي الذي يتخذ السلوك الإنساني- الأقوال والأفعال المتعلمة وغير المتعلمة - موضوعا لها ولا يحتاج إلى ذكر الخبرة أو الشعور هدفه النظري التنبؤ بالسلوك وضبطه» ولسلوكية واطسن هدفان:

1 -التنبؤ بالاستجابة بعد معرفة المثير.

2 -التنبؤ بالمثير استنادا للاستجابة.

-**فالمثير**: هو أي شيء في المحيط العام أو أي تغير في العضلات أو الأنسجة الداخلية والخارجية يستثير ردا وهناك **مثيرات خارجية**: من اليسير ملاحظتها مثل:-الضوء المسلط على العين الذي يحدث استجابة هي انقباض سريع لحدقة العين.

-**ومثيرات داخلية**: مثل تقلص عضلات المعدة وانقباضها نتيجة نقص الغذاء.

-**الاستجابة**: فهي أي شيء يفعله الكائن الحي عندما يثار مثال: الالتفات إلى مصدر الضوء أو القفز نتيجة سماع صوت أو شم رائحة طعام، وهناك استجابات معقدة إلى أكثر فعاليات تعقيدا مثل تشييد الأبنية وتربية الأطفال وتأليف الكتب.

المسلمات [16]:

أ- يتألف السلوك من عناصر استجابية ويمكن تحليله بنجاح عن طريق المناهج الموضوعية للعلم الطبيعي.

ب- يتشكل السلوك كله من حركات عضلية وافرازات غدية وعلى ذلك يمكن رده إلى عمليات فيزيولوجية وكيميائية.

جـ- هناك استجابة فورية لكل مثير ناجح ولكل استجابة مثير من نوع ما (هناك حتمية علة ومعلول صارمة في السلوك).

د- لا يمكن دراسة العمليات الشعورية إن وجدت حقا فهي من مخلفات الفكر اللاهوتي السابق عن علم النفس ولذا يجب تركها جانبا وعدم الخوض فيها.

هـ- رفض واطسن الاعتراف بالغرائز والعوامل الفطرية كأساس في تفسير السلوك حيث يقول: "أعطوني إثنى عشرة طفلا وسأصنع لكم منهم الطبيب والتاجر والشحاذ واللص بغض النظر عن السلالات التي انحدروا منها" فهو يؤكد على أهمية المؤثرات البيئة ودور الاكتساب في الشخصية[17] .

*- ولقد جاءت السلوكية ثورة على النظام القائم آنذاك الاستبطانية والشعور واستفادت كثيرا من علم نفس الحيوان، ومن الفعل المنعكس الشرطي، وعموما فالمدرسة السلوكية تهتم بدراسة السلوك الظاهري للكائن الحي وتفسيره دون الاهتمام بالدوافع الداخلية أي دراسة الأفعال التي تصدر على الكائن كاستجابات لمؤثرات البيئة باستخدام المنهج التجريبي والقياس والمعالجة الإحصائية للبيانات المحصل عليها وليست السلوكية محصورة في عمل واطسن بل هناك كثير من المشاهير بإسهاماتهم واهمهم : ألبرت فايس ,إدوين غولت , ولتار هنتر, كارل لاشلي ,فيلويد البورت.....

أ/- **اهتمام السلوكية بسلوك الحيوان:** يرجع الاهتمام بسلوك الحيوان إلى علماء إنجليز خاصة(**داروين، مورقان، هوب هاوس**) بأكثر دقة "**ثورندايك**" الذي توصل إلى أن الحيوانات تتعلم عن طريق المحاولة والخطأ وصاغ ثلاث قوانين للتعلم:

1 -**قانون المرات(التكرار):** بمعنى أن الاستجابات تقوى بالاستعمال المتكرر وتضعف بالإغفال والإهمال المتواصل.

2 -**قانون الأثر:** بمعنى أن الاستجابات تثبت أو تحذف حسب ما يترتب عليها من حالة ضيق أو ارتياح مثل (دور المكافأة في تثبيت الاستجابة).

3 -**قانون الاستعداد:** الذي يحدد الظروف التي يكون فيها الكائن الحي في حالة ارتياح أو ضيق.

وقد كان "ثورندايك" سلوكي النزعة فتفسيراته كلها تقوم على أساس ربط العلاقة بين (م- س) وتقوية الرابطة بينهما أثناء المحاولات المتكررة، ووظيفة التعلم هي جعل هذه الارتباطات تقوى أو تضعف بالنسبة لمواقف مدروسة، في إطار قوانينه الثلاثة (قانون المرات).

ب/- اهتمام السلوكية بالفعل المنعكس: ظهرت الموضوعية الروسية على يدي "بافلوف" و تشتريف في اكتشاف الفعل المنعكس الشرطي فكان عونا للسلوكين وأساسا لتجاوبهم وتفسيراتها حول السلوك، وقبل هذا الاكتشاف كانت وحدة السلوك عندهم

م ← س.

وأبسط صورها الفعل المنعكس: هو حركة بسيطة غير مكتسبة (لا إرادية) تحدث من الفرد بطريقة طبيعية لاإرادية مثلا: دمع العين إذا دخل فيها جسم معين، تصبب العرق، احمرار الوجنتين، هذا الفعل المنعكس هو أبسط صورة من صور الاستجابة للمثير والفعل المتكامل هو حاصل مجموعة

أفعال منعكسة مترابطة فيما بينها. (هكذا كانت نظرة السلوكيين في بادئ الأمر) فكانوا يعتبرون السلوك حاصل جمع مجموعة من العادات، حاصل جمع مجموعة من الأفعال المنعكسة تماما كما هو الشأن في تشييد منزل أو بنائه أو مثل السيارات تتكون من قطع غيار وقطع غيار تتكون من أجزاء وهكذا..

هذه النظرة إلى الكائن الحي تعد نظرة آلية ميكانيكية حيث تشبه وجهة نظر الارتباطية كثيرا حيث استدلوا بترابط الأفكار بترابط المثيرات والاستجابات.

وسنرى الآن كيف ساعد اكتشاف الفعل المنعكس الشرطي بالسلوكيين في تجاربهم وتفسيراتهم:

- **الفعل المنعكس الشرطي:** لقد أثبت بافلوف إمكانية ارتباط استجابة ما بمثير غير مثيرها الأصلي إذا تكرر تقديم هذا المثير الجديد مع المثير الأصلي عدة مرات ولقد استنتج أنه إذا أشرطت عدة مرات استجابة معينة بمثير يصاحب مثيرها الأصلي وتكررت هذه العملية عدة مرات ثم أزلنا المثير الأصلي وقدمنا المثير المصاحب وحده فإن الاستجابة المعينة تحدث وأطلق عليها "الاستجابة الشرطية":

(م ط) طعام ⇐ س (سيلان لعاب).
(م ش) دق الجرس ⇐ س (سيلان لعاب).

ورحب واطسون كثيرا بهذا الاكتشاف وقام بتجارب عديدة على الأطفال والفئران وانتهى سنة 1924 م إلى الافتراض أن الفعل المنعكس الشرطي هو أساس تكون أي عادة، وبفضله أصبحت الشرطية مبدأ تفسير السلوك على ضوئه وليس طريقة بحث فقط:

نقد السلوكية الواطسونية:

- تطرف في الموضوعية، الإفراط في الاعتماد على التقرير اللفظي، دراسة الوقائع القابلة للملاحظة المباشرة فقط.

التجزيئي في السلوك بشكل مثيرات واستجابات وهو تعريف مرن وبه مغالطات منطقية في تفسير النتائج.

إنكار الشعور ونبذ الوعي.

إنكار الفطرة ودورها في السلوك والإعتماد على البيئة.

مقارنة بين الأشراط الكلاسيكي والأشراط الإجرائي: الأول يتضمن استجابات لا إرادية وظهورها إجباري عن طريق المثير الطبيعي (غير شرطي) ويسهل دراسة الترابط بين م(ش)و س(ش).

أما الاشراط الإجرائي: يتضمن استجابات إرادية يعبر عنها الكائن الحي و يتضمن إطار الاستجابة على الظهور.

العلاقة الواضحة ليست بين المثيرات ولكن بين الاستجابة والتعزيز (سكينر).

السلوكية الحديثة:

I كلارك هيل (1884م-1952م):

حيث عمل على توضيح الغموض في بيان العلاقة بي (م ⇐ س) حيث فرق بين ثلاث أنواع من المتغيرات:

1 -**المتغيرات المستقلة:** وهي الخاصة بالمثير وتشمل المواقف الموجودة في البيئة والتي تؤثر وتدفع الكائن للاستجابة.

2 -**المتغيرات التابعة:** وهي الخاصة بالاستجابة في البيئة الخارجية نتيجة تأثير (م-م) أو المثيرات وتوضح صفاتها.

3 -**المتغيرات المتوسطة:** وهي تتضمن العمليات التي تتوسط المثيرات والاستجابات وتعمل على الربط بينها.

- ولقد ألح هيل على الدوافع ودورها في التكيف وأعطى تفسيرا من لحظة حدوث المثير إلى استدعاء الاستجابة ولح على التفاعل المتواصل بين الكائن الحي وبيئته والذي ينتج عنه السلوك.

II- **فرويديريك سكينر:** رائد السلوكية الحديثة، ركز على تأثير البيئة في السلوك وأن عدم تغير الفرد مع بيئة متغيرة سيحرمه من استجابات مناسبة للحصول على جزاء(ثواب) ضروري للحياة النفسية والطبيعية لأنه كان يرى أن تنوع العوامل البيئية وتغيرها يؤدي إلى تحولات في سلوك الفرد طيلة حياته.

- لابد من دراسة السلوك الظاهر (الموضوعي) المؤلف من مجموعة الارتكاسات والكشف عن كيف تتوقف الاستجابة على هذه المتغيرات التجريبية الأخرى توقفها على المثير.
- لقد جرب على الأطفال و الفئران، ويعتقد أن الإنسان وسلوكه الكلامي يمكن إخضاعه لقوانين الإشراط الإجرائي والتعزيز.

* المدرسة الشكلية (الجشتالت) GESTALT :

أثناء ظهور السلوكية في U.S.A كان فريق من علماء النفس في ألمانيا منشغلون بفكرة (دراسة الحركة) أدت إلى تبلور أبحاث عن طريقة وموضوع وهدف علم النفس، وقيا مدرسة من أهم المدارس فيالوقت الحاضر عام 1912 م ولها وجوه بارزة أهمهم:

التأثيرات السابقة	الرواد	المؤسسون	المطورون
فرانزبر نتانو	ج.أ مولر	ماكس فرتهايمر	كورت ليفين
(1838- 1917)	(1850- 1934)	(1880- 1943)	(1890- 1947)
ارنست ماخ	غوتنغن	فرانكفورت	برلين
(1836- 1916)	ايريك ر. جانش	ولفغانغ كوهلر	ريموند هوبلز
كريستيان فون ايرنفلس	(1883- 1940)	(1887- 1967)	(1892- 1961)
(1859- 1932)	غوتنغن	فرانكفورت	كنساس
ألكسيوس ميونغ	دافيد كارتز	كورت كوفكا	كورت غولدشتاين
(1853- 1920)	(1884- 1957)	(1886- 1941)	(1878- 1965)
ج.ف. ستاوت	غوتنغن	فرانكفورت	برلين
(1860- 1944)	ادغار روبين		
وليم جيمس	(1886- 1951)		
(1842- 1910)	غوتنغن		
جون ديوي			
(1859- 1952)			

ولعل أبرزهم الرواد الثلاث وهم : [19]

- ماكس فرتهايمن (1880- 1943م). - فولفانغ كوهلير (1887-1967م).
- كورت كوفكا (1886م- 1941م) وقد كان شعار مدرستهم هذه كلمة GESTALT(20)الألمانية التي تعني الكل أو الشكل أو الصيغة أو الهيأة والتي اهتمت بدراسة الظواهر من منظور"الإدراك الكلي" بدلا من التجزيئي إلى عناصر.
- لقد بدأت ثورة على النظام القائم فاصطدمت بعلم النفس التقليدي وخاصة الربطية، وقال علماء الجشطالت الخبرة تأتي من صورة مركبة فما الداعي إلى تحليلها ثم البحث عمنا يربطها، وكذلك تمييز العناصر وتجزئتها مظلل في علم النفس وأن السلوك لا يمكن رده إلى وحدات م ⇐ س، وأكدوا أن خصائص الكل المنظم تضع المشكلة الأجدر بالدراسة في علم النفس، وأن الإدراك

المباشر للموضوع كما هو شيء أساسي، وأنت السلوك الذي يعنى علم النفس هو السلوك الكلي الهادف إلى غاية معينة (تولمان) والذي يحقق الكائن الحي ككل متكامل عن طريق تفاعله مع البيئة، وأن هذا الكل ليس مجموع العناصر أو الأفراد التي يتكون منها وإنما له خصائصه التي يتميز بها، والتي لا توجد ي هذه الأجزاء وأن تحليل الكل إلى عناصره لا يعطي فكرة كاملة عن هذا الكل.

- وتستند جماعة الجاشطالت على النتائج المستمدة من العلوم الحيوية والطبيعية فاعترضت على تحليل الظواهر السلوكية، ورفضت المذاهب الميكانيكية، فهي مثلا لا تعترض بوجه عام على الاستبطان كمنهج من مناهج علم النفس إذا لم يتجه ناحية تحليل الخبرات الشعورية وابتعد عن الذاتية، وتهتم أكثر بالدراسة الموضوعية للسلوك الظاهري شريطة أن تكون هذه الدراسة كلية أو جزئية.
- مثال عن الكل: نقطة البداية في تكوين الجنين مثلا هي وحدة الخلية، التي تتفرع عنها بعد ذلك أعضاء الجسم المختلفة، فالوحدة هي الأصل الأعضاء والأجزاء والفروع هي الفروع...
- والطفل أو ما يعبر عن نفسه بجمل وكلمات لا بحروف مستقلة، فالحروف لا معنى لها عنده لأنها لا تمثل وحدة كلية، فهي تستمد دلالتها من الأصل الذي اشتقت منه وهكذا...
- وقد كان لهذه الآراء أثرها في مجالات علم النفس المختلفة، فتأثر بها علم النفس الاجتماعي، فأصبح يرى أن الكائن الحي والبيئة التي يعيش فيها وحدة متكاملة متفاعلة، ودراسة الشخصية والنظريات التربوية كفكرة الوحدات في المناهج والطريقة الكلية في التعليم...

- **تعريفها لعلم النفس:**

يعرفونه بأنه" دراسة الخبرة المباشرة للعضوية الكلية (السلوك الظاهر للعضوية في مجال إدراكها الكلي)، ويشمل هذا المنظور كل ميادين علم النفس المختلفة ويلحون كثيرا على الإدراك، أي الدراسة الموضوعية للسلوك الظاهر والمدرك دراسة كلية لا تجزيئية"

- **المسلمات:** كثيرة ولكن أهمها:

- الكل: إن الكل يسود الأجزاء ويؤلف الظواهر الأولية في علم النفس ، وليس الكل مجمعا أو تابعا بسيطا من أي نوع لأجزائه، ولكنه مجال يتوقف طابعه على ذاته.
- مسلمة المجال النفسي (المطابقة الجسمية النفسية).
- مسلمة الشكل والأرضية.
- مسلمة الشكل الجيد.
- قوانين التنظيم الادراكي:

- صاغها فرتهايمر 1924م، من أهم الموضوعات التي تعرضت لها جماعة الجشطالت دراستهم للقوانين التي ينتظم بها العالم الخارجي في مجال الإدراك والتعلم وأهمها:
- 1- قانون التقارب: فالأشياء المتقاربة في الزمان والمكان يمكن إدراكها على هيئة صيغ كلية مستقلة بعكس الأشياء المتباعدة.
- 2- قانون التشابه: فالأشياء المتشابهة في الشكل أو الحجم أو اللون أو السرعة أو الاتجاه تدرك كصيغ، بعكس الأشياء المنفردة التي لا تربطها علاقة بغيرها.
- 3- قانون الاتصال: فالأشياء المتصلة مثل النقط التي تصل بينها خطوط تدرك كصيغ، بعكس الأشياء المنفردة التي لا تربطها علاقة بغيرها.
- 4- قانون الشمول: فالأشياء تدرك كصيغة إذا كان هناك ما يجمعها ويحتويها ويشملها كلها، فصورة صفين متوازيين من الأشجار تعطي صيغة طريق، عن مجرد عدد من الأشجار
- 5- قانون التماثل: فالأشياء المتماثلة تبرز أكثر كصيغ وتتميز عن غيرها من الوحدات التي يتضمنها مجال الإدراك.
- 6- قانون الغلق: فالأشياء الناقصة تدعونا إلى إدراكها كاملة وإلى سد الثغرات أو الفتحات الموجودة بينها، فالدائرة مثلا التي ينقصها جزءا والتي بها عدد من الفتحات التي ندركها كدائرة، ويميل علماء النفس الجشطالت بأن الأشياء الناقصة تسبب نوعا من التوتر وإن هذا التوتر لا يزول إلا بإكمال الشكل وسد الفتحات والعودة إلى الشكل المنتظم.

* تجارب كوهلر: (التعلم بالاستبصار):

ونعني بالاستبصار" الإدراك أو الفهم المفاجئ لما بين العلاقات أو الأجزاء في مجال الإدراك الكلي".

نقد الجشطلت [21]:

1- انتقدت كونها ذات طابع ضبابي(استعمال جشطالتات أو كليات) فهي لا تقدم تعريفا دقيقا للتعبير عن التنظيم وأنها مجرد عرض لبرامج تفتقر للتأكيد.

2- لم تقدم الجشطالت نظاما يتمتع بقوة تنبؤية.

3- استعارت مفهوم المجال من الفيزياء ووجدت صعوبة في تطبيقه على الظواهر النفسية.

4- انتقد تدريب الجشطالت كونه قليل الضبط، غير كمي ولا إحصائي.

5- لم تقدم أي إسهام علمي في دراسة الفروق الفردية.

* مدرسة التحليل النفسي Psychanalyse freudien :

مقدمـــــة:

نشأت هذه المدراسة في علم النفس بداية من القرن 20م على يد:
سيجموند فرويد S.FREUD، وهي لم تنشأ كغيرها نتيجة دراسات نظرية أو في معامل علم النفس وإنما نشأت في العيادات الطبية، فاكتسحت شعبيتها الدوائر العلمية والتقنية والأدبية، حيث ترجم إلى اللغة الإنجليزية 42 مجلدا، ترجم عدد كبير منها إلى اللغة العربية، وعلى الرغم من تعرضه للنقد الشديد، فلقد اتفق علماء النفس على أن فريود يعتبر أبرز منظر في علم النفس في كل العصور بالرغم من كل الاعتراضات المبررة وغير المبررة والتي لا تقلل من أهمية الإسهام التحليلي في علم النفس لا سيما الفرويدي والذي سمي بـــ : "سيكولوجية الأعماق" نظرا لكونه قدم جديدا حين قال: « إن اللاشعور هو الأساس العام للحياة النفسية، وأنه الواقع النفسي الحقيقي وهو قوة ديناميكية تلعب دورا مسيطرا في الحياة النفسية ككل»[22].

- وقبل أن نبدأ عرضنا للتحليل النفسي، نقدم جدولا بأهم الأسماء المرتبطة[23] به:

التأثيرات السابقة	الرواد	المؤسس	المطورون
أفلاطون (429- 347 ق.م)	أنطون مسمر (1732- 1815)	سيفموند فرويد (1856- 1939)	ألفريد آدلر (1870- 1937)
أفلوطين (205- 270)	جان مارتان شاركو (1825- 1893)		كارل يونغ (1875- 1961)
ميشيل دومنتين (1533- 1592)	جوزيف برويز (1842- 1925)		ساندورفيرنزي (1873- 1933)
غوتفريدلايبنتز (1646- 1716)			أوترانك (1884- 1939)
هيجل (1770- 1804)			كارين هورني (1885- 1952)
جوهان هربارت (1776-1841)			هاري سوليفان (1892- 1949)
آرثر شوبنهاور (1788- 1860)			اريك فروم (1900-)

أولا: حياة سيجموند فرويد وتأسيس التحليل النفسي:

ولد S.FREUD (1856 م- 1939) في مدينة فرايبورغ بمقاطعة مورافيا الواقعة في حدود تشيكوسلوفاكيا، وقد انتقلت أسرته إلى فيينا عام 1860 حيث درس وأقام القسم الأكبر من حياته، كان طبيبا وفيزيولوجيا، عمل فترة في مخبر تشريح المخ، ثم شرع في دراسة الأمراض العصبية.

- سافر إلى فرنسا في بعثة دراسية والتقى "شاركو CHARCOT" وتأثر به كثيرا في أبحاثه حول "الهستيريا" ومنذ ذلك الحين بدأ يحس إحساسا عميقا بأنه «لابد وأن تكون هناك عمليات نفسية قوية، تبقى برغم قوتها خافية عن شعور الناس» من خلال التنويم المغناطيسي، وكان هذا الإحساس بداية اكتشاف الدور الهام الذي يلعبه اللاشعور في الحياة النفسية.

- إلا أن الحدث الأعظم في حياة فرويد كان لقاؤه مع"جوزيف برويير" الذي حدثه عن "حالة هستيرية" كان يعالجها " Cas d'anna" وقد شعر فرويد بأهمية الحالة.

ثانيا: المسلمات [24]

1 -**الحتمية السيكولوجية والدافعية**: يلح "S.FREUD" أن لكل سلوك سبب وعليه لا وجود للأحداث العشوائية بما فيها الأعراض العصابية التي حيرت الأطباء طويلا وكذا الأحلام والهفوات وزلات اللسان... وينظر إلى هذه الحتمية على أنها تنظيم للسلوك من جانب الحاجات"Besoins" والأهداف وذلك هو جوهر الدافعية Motivations، ويرى S.FREUD أن للظواهر والدوافع اللاشعورية هدفا هو إشباع رغبة جنسية تعود إلى أيام الطفولة المبكرة وهذه الرغبة غير مسموح بها بالنسبة لشخصية الراشد لذلك كبتت refoulement ولم تستطع أن تعبر عن نفسها إلا من خلال الأحلام والهفوات وزلات اللسان والأعراض العصابية...

2 -**دور اللاشعور**: لم يخترع فرويد اللاشعور أو مفهومه وإنما لديه جديدا نلخصه في النقاط التالية:

- **اللاشعور نوعان:**

أ -**اللاشعور الوصفي**: محتوياته غير ماثلة حاليا في الشعور ولكن ليس هناك مايمنع استحضارها على الشعور بطرائق التذكر المألوفة وأطلق عليه ما قبل الشعور وعدّه بمثابة الستار أو الحاجب بين الشعور واللاشعور.

الشعور- ما قبل الشعور- اللاشعور.

ب -**اللاشعور الديناميكي**: ومحتوياته غير مقبولة في الشعور ولا تظهر إلا من خلال الأحلام والهفوات والزلات والأعراض وهو الذي عدّه FREUD اللاشعور الحقيقي.

جـ -اللاشعور هو أساس الحياة النفسية (أي هو الواقع النفسي الفعال).

د- اللاشعور مستودع الميول والرغبات الغريزية ومنها الكثير الذي يكبت في مرحلة مبكرة من نمو الشخصية وهو لا منطقي وتسيطر عليه المسول الجنسية.

3- **طريقة البحث التوليدية**: لقد اعتبر FREUD الشخصية منظومة بينية لأنها وهي ذات الجذور الفيزيولوجية والبيولوجية تنمو خلال مجرى الحياة وتصل الفرد بالآخرين، ولقد ألح على الأهمية الكبرى لمرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة في تكوين الشخصية، فخط النمو ممتد من الماضي في تفاعل خلاق مع الحاضر (الخبرة التكيفية للفرد).

4- اللبيدو Libido والاتجاه البيولوجي للنظرية:

نجد أن هذه المسلمة قد أثارت أعمق الاختلاف بين المدارس التحليلية وحولها جرى الانقسام إلى مدارس لبيدية (FREUD وأتباعه) ومدارس غير لبيدية (**يونغ وآدلر**... التحليل النفسي الحديث).

- إن اتجاه FREUD بيولوجي بمعنى أنه يعتقد اعتقادا جازما ان الشخصية قائمة أساسا على دوافع بيولوجية متأصلة في الجسم بحكم تكوينه الوراثي وتمر بمراحل ثابتة خلال الخمس أو ست سنوات الأولى من حياة.
- اتجاه FREUD اللبيدي بمعنى أن الدوافع البيولوجية التي تعطي للشخصية ديناميكيتها (حيويتها) هي دوافع جنسية، ولذا نجده قد أطلق على الطاقة الجنسية اسم اللبيدو "Libido".

ثالثا: طريقة التحليل النفسي "الفرويدي"[25]:

تبنى أساسا على التداعي الحر للأفكار والذكريات وفيها يطلب من المريض عادة أن يستلقي ويسترخي ويترك العنان لأفكاره وذكرياته فلا يعترض طريقها، فيذكر كل ما يتذكره مهما كان تافها أو مخزيا أو مخالفا للعرف والتقاليد أو الآداب العامة وغير منطقي (تحت تشجيعات وتوجيهات المحلل) ويستمر التحليل بهذا الشكل حتى تتكشف العوامل الفعالة في حياة المريض النفسية ويعود إلى المراحل المبكرة من حياة الفرد(أيام الطفولة المبكرة)، ومتى توصل المحلل إلى أصل العلة الأولى وتعرف هو والمريض على الحادث أو الأزمة التي كانت السبب فيها... فإنه يعين المريض على فهم حالته كاملة وأسباب علته وربط سلسلة الحوادث بعضها ببعض حتى إذا ظهرت للمريض العوامل والمؤثرات التي تربط ماضيه بحالته النفسية الراهنة وعاش ظروفها الانفعالية من جديد تحسنت حالته وزالت عنه أعراض المرض وتصحب التحليل النفسي عادة ظاهرتين هما المقاومة والتحويل أوالنقل.

1 -**المقاومة**: تبدو في صورة عجز المريض عن استخراج خبراته الماضية أو تذكر الحوادث التي قد تساعد على التعرف على أسباب الحالة التي يعاني منها أو عجزه عن الاعتراف بها، وهي ناحية يجب أن يليها المحلل العناية التامة.

2 -**التحويل أو النقل TRansfer**: حيث يقع المريض في حالة حب أو كراهية شديدة بالنسبة للمحلل حيث تتركز فيه عواطف المريض وحسب FREUD فإن المحلل يصبح أثناء التحليل "بديلا" للشخص الذي كانت تتجه إليه هذه الانفعالات أيام الطفولة، ويستفيد منها المحلل بتوضيح أسابها للمريض وحقيقة العواطف التي تربطه بالآخرين ويجب أن يبقى المحلل محايدا.

نظرية الدافعية في الشخصية عند S.FREUD:

* **دوافع السلوك عند FREUD:** يقسمها إلى قسمين:

أولا- دوافع الحياة"EROS" نزعات بنائية: وتنقسم بدورها إلى قسمين هما:

1 -**حوافز الأنا:** ويوجهها مبدأ الواقع وتعمل على المحافظة على النفس" المحافظة على الذات" بإشباع الحاجات وفقا للمعايير الاجتماعية ويلجأ أحيانا إلى ما يعرف بميكانيزمات دفاعية لا شعورية" حيل دفاعية لا شعورية " مثلا " الكبت، الإعلاء، الإسقاط...".

2 -**حوافز الليبيدو:** هي الدوافع الجنسية التي يوجهها "مبدأ اللذة" وهو نوعان:

2-1- **لبيدو الأنا:** حب وعشق الذات "النرجسية".

2-2- لبيدو الموضوع: حب موضوع معين خارج الذات.

- ومقر الليبيدو واللاشعور ويمثله في الجهاز التنفسي الهو.

ثانيا: دوافع الموت: نزعات هدامة Thanatos:

وتشمل دوافع الفناء والعدوان ويعبر عنها بالتخريب والتهديم نحو الآخرين وأحيانا نحو الذات ومقر هذه الدوافع اللاشعورية ويمثلها الهو.

* أهمية الصراع في الحياة:

حسب S.FREUD تتكون الشخصية نتاجا لمحصلة من سلسلة من مواقف الصراع بين مبدأي اللذة والواقع وغرائز الحياة وغرائز الموت.

مثلا: وفي حالة إخفاق وعجز الأنا في التوفيق بين القوى المتصارعة في الجهاز النفسي وبين مقتضيات العالم الخارجي فإن احتمال الإصابة بالاضطراب التنفسي يكون جدا وارد، وعموما فالعمليات العقلية والنفسية تنتج على ثلاث مستويات والتي يقسمها فرويد من خلال منظورين كما يلي:

المنظور المكاني الطبوغرافي الأول: Topic $1^{ère}$ (الموقعية الأولى):

1 -الشعور. 2- ما قبل الشعور. 3- اللاشعور.

Inconscience Prés –conscie Conscience

- ثم عدلها FREUD بالموقعية الثانية Topic 2ème سنة 1923م كما يلي:

1- الهو.	2- الأنا.	3- الأنا الأعلى.
Le ça	Le moi	Le sur moi

أولا- الموقعية الأولى (الجهاز العقلي):

أ **-مستوى الشعور:** يحتوي هذا المستوى على الأفكار والمشاعر التي يعيها الإنسان في كل وقت، ويمكن للأفكار الشعورية أن تكون لا شعورية في وقت ما عن طريق كبتها.

- كما يعرف الشعور (فيزيو عصبي) على أنه: " التكيف المطابق للواقع".

ب- **مستوى ما قبل أو تحت الشعور** : يتشكل من مجموع الأفكار والصور والمشاعر التي يعيها الإنسان آنيا (حاليا أو في الوقت الحاضر)، ولكن بوسعه وبمجهود بسيط بواسطة طرائق التذاكر المألوفة أن يستدعيها إلى مستوى الشعور.

جـ- مستوى اللاشعور: هو"مأوى" أو مستودع الأفكار والخبرات والذكريات التي كانت في وقت ما في مستوى الشعور ثم طردت إلى اللاشعور لأنها تسبب قلقا وتوترا للإنسان باعتبار أن هذه الرغبات غير مقبولة اجتماعيا ودينيا، وأن التعبير عنها يؤدي إلى التعرض للعقاب أو المعارضة من طرف الآخرين أو من طرف الشخص نفسه كونها مؤلمة أو منافية للعرف."

ثانيا- الموقعية الثانية: (تركيبة الشخصية أو الجهاز النفسي):

1 -**الهو:** تعد أكثر أجزاء الشخصية بدائية وغريزية وتعمل وفق مبدأ اللذة وتتجنب الألم بصرف النظر عن قيم المجتمع ومعتقداته، وكثيرا ما تسيطر وتتحكم في سلوكات الصغار ويتجلى بوضوح ذلك عند الأطفال.

2 -**الأنا:** هو ذلك الجزء من الشخصية المنوط به حل المشكلات وإشباع الرغبات و الذي يعمل وفق مبدأ الواقع، وينشد الأنا اللذة ويتجنب الألم بأساليب عقلانية يوافق عليها المجتمع. حيث يتولى حاجات الهو ويحدد طريقة مقبولة لإشباعها أو إرجاء هذا الإشباع أو كبته.

الأنا الأعلى: كما يقول FREUD هو الوريث الشرعي للعقدة الأوديبية أي أنه يبدأ في التكون ابتداءا من السنة 4 أو الخامسة (04 أو 05) سنوات يدرك الطفل أساليب التربية والأوامر والنواهي الاجتماعية... ويتمثل في أساليب السلوك الإنسان ويعرف الفرد كيف يتجنب السلوكات غير المقبولة ويحتل الضمير مكانه في الأنا الأعلى.